

فراغ في طابور طويل

شعر

فراغ في طابور طويل

شعر

محمد خضر

محمد خضر
فراغ في طابور طويل
شعر

الطبعة الأولى: أغسطس 2019م - ذي الحجة 1440هـ

رقم الإيداع: 0000 \ 0000
ردمك: 0000-00-000000-0



دار ميلاد للنشر والتوزيع

6565 طريق الأمير محمد بن سعد بن عبد العزيز

الرياض - المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.DarMelad.com

تويتر: Dar_Melad

انستغرام: Dar_Melad

للتواصل مع المؤلف:

تويتر: mohkheder1

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار ميلاد، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الدار

مفقودات

تغيير نغمة المنبه

ستؤلمك الأشياء التي تحدث في الحلم فقط
الأحلام الروائية الطويلة ذات الأحداث التي طالما كنت تنتظرها
على عتبة أيامك

ستؤلمك وتشعر بهذا جلياً من جعلكة اللحاف عند قدميك
صحيح أن صديقك قال إنها: أضغاث أحلام
وأن العلماء توصّلوا منذ سنوات إلى أن الأحلام هي المقابل
الموضوعي لدفقة الأمنيات التي تلوح لك من بعيد.. من بعيد
فقط

لكنك ستزعج لأن ذلك السرد الفاتن كان حُلماً.. مجرد حلم
ولأن المفسر ابن سيرين سيخبرك عبر: Google
بأنك ستحصل على مزيد من دنائير الفضة أو فرو ماعز جبلي
مدبوغ يدوياً

تتفاءل قليلاً مع أن ذلك أقل بكثير من حلمك
في المرأة ستجد شيئاً قد تغير في ملامحك

تسأل نفسك بصوت عالٍ: ما الذي تغيّر؟
وتكتشف أنه صوتك!
صوتك الذي كان سعيداً في آخر لقطةٍ من الحلم
سعيداً ومدوياًً مثل صراخٍ بطلٍ في أفلامٍ كرتونٍ
هذه ضريبة أن أترك الأحلام على سجيتها
دون تشويشٍ مقصودٍ في إشارة العمرِ
عليّ أن أهتك هذا السرد السرابِ
وأتركهُ متقطّعاً مثل أحلام الفزع والخوفِ والأقفاصِ
على الأقل لن يكون ذلك بعيداً عن الواقعِ
عليّ أن أتأمر مع منبه الساعةِ
الذي يرُنُّ بنغمة نقار الخشبِ
على بيتِ الأحلامِ

غرفة

سأفتقدها

غرفتي في الفندق

التي صارت مبعثرةً تماماً بعد أقل من ساعةٍ
حميمةً تماماً مثل الحبِّ من نظرةٍ أولى في الأفلام
سأفتقدها

بين حقيبةِ اليدِ التي علقتها على مقبضِ البابِ
فمالَ كتفي

وعلامه اتجاه القبلة

التي جعلتني أحدِّقُ في السقف لساعاتٍ
وأكتشفُ أنني مركز الكون

الدولابُ الذي تركته مفتوحاً طيلة الوقتِ
لأتخيَّل الحُرِّيَّة مدلاةً من علّاقة الملابسِ

والكتب التي نثرتها على السيراميك

كي تهرب المضامين السوداء من شقوقِ تالفةٍ نحو المجهول

علبة البانادول التي اتكأت على بطاقتي الشخصية فشعرتُ
بتحسُّنٍ ملحوظٍ
عقالي الذي اشتريته مؤخراً ولا زلنا في مرحلة التعارفِ
الذي تدحرج بعيداً.. بعيداً
حتى توقَّف على ضفاف الجينز المسجى
علبة السجائر وما يتركه الأصدقاء كديفٍ في الروح..
موظف الاستقبال- الذي علَّم مديرَ الفندقِ الأسماءَ كلها -
لم يسألني إن كنتُ سأبقى ليومٍ آخر
كان يدركُ أن العابرَ لا يحسُّ هذه الأسئلة
اكتفى بتفحُّصِ الغرفة في وجهي
أغلقها بهدوءٍ ومضى
وكما لا أحبُّ نهاية الأفلام.. نهاية الكتبِ.. نهاية القصيد..
نهاية الصلاحية..
بنظرةٍ أخيرةٍ
أغلقتنِي ورحلت!

ثوب

ثوبٌ قديمٌ ومهترئٌ
ذاكرته أوسع من جسمي
حين أضع رجلاً على رجلٍ
في مناسبةٍ مكتظةٍ بالناسِ
يفهم ذلك مباشرةً
وينساب كأنما للتوّ خرج من الخياطة..

مرّت عليه العطورُ الثمينَةُ والمهدأةُ
والرخيصةُ والمريعةُ..
عطرٌ وحيدٌ لا يزال في ذاكرةٍ خاصّةٍ
بالقرب من الجيبِ العلويِّ.. عطرِك..

ثوبٌ أستبقيه لمدةٍ طويلةٍ مصلوباً
على الشماعةِ

وفي المرات التي تدخل نسمةً من النافذة
عبر الجبال
يرفرف مثل علمٍ في مباراةٍ مصيريّةٍ..
يرقص نكايّةً بي!
بالأوقات التي بقيت فيها محايداً
ومكتفياً بالتصفيق..

لم يعد واسعاً اليوم
ربما لأنه جريحٌ
من كثرة الأثرِ
ربما لأنه يرفضُ تماماً أن يتحوّل إلى شيءٍ آخر
خرقة.. أو رقعة..
أو متجعلكاً أسفل السحّارة تحت السريرِ
ربما لأنه كتومٌ جداً فيما يخص العمر وزيادة الوزن..

هنا في مكان الياقة تماماً
أثر أوسع لك..
أوسع لكنه بطيء
جاء الأنفاس والغياب
وجودة الخياطة..

أغلق الغرفة جيداً
أرتديه بحذر.. وأجلس طويلاً
أحاول أن أتذكّر
متى انقطع الزرّ العلوي؟

حجارة

هذه المدينة

تمنحك كل شيء دفعة واحدة
ثم تسترد كل شيء بالأقساط المريحة
ثم تفهم أن ذلك ممنهجاً
وأنتك ضمن خطة مدروسة بعناية
كي تتحول إلى آلة..

ينبغي أن تكون حجارة أحياناً
أو يداً تزرع الألمنيوم
دخائلاً يتصاعد من تكرارك
داخل أنبوبة شاهقة
لها فوهة شرهة في تعاطيك..

لغابة الإسمنت لغةً شعريّةً أيضاً
النسائم ترتطم في جدران البيوت المتشابهة كالبيض
ترتطم وتندم على وجودها كنسمة!
النسائم تتذكرُ بحنينٍ جارٍ
أيامها الجميلة
من شجرةٍ إلى شجرةٍ
ومن شالٍ إلى شعرٍ غجريّ..

لوحات المتاجر ذات الإضاءات الساطعة
ذات الألوان الفاقعة والبريق
ذات العبارات الرنانة والمبالغ فيها
نجومك الجديدة
وسماؤك كل يوم..

كنت تشعر بشجرةٍ ماتت
بوردةٍ نبتت فجأةً بين صخرتين
بطائرٍ عائدٍ من بلادٍ بعيدةٍ

وتردد أغنيةً في انتظارِ المطرِ
كان ذلك يحدث قبل أن ترتديك الحجارَةُ
كنتِ..
والآن ثمة علامة تحذير لعمل صيانةٍ للأسفلت
تشاهدها أكثر من مرأتك..

حجارة

صوت سقوط مفتاح الصالون
من الطاولة إلى السيراميك
ألهمني فكرةً جديدةً عن الجاذبيّة
وشئناً ما له علاقة وطيدة مع مفهوم الأبواب والنوافذ في داخل
المرء..

يقول صديقي: إنّ أسنان المفتاح تكسّرت
وهذا يشبه قصص الحبّ في نهايتها
حيث الأبواب تبحث عن مفاتيح جديدةٍ
أو عتلة تقتلع مقبض الباب بسواعد قوية
ما حدث بالضبط أنني لسنواتٍ طويلةٍ
أفقدُ مفاتيح الأمل في طرقٍ مظلمةٍ
أحاول جاهداً أن أبرّر لتلك العقول
أنه لا يمكنني اقتلاعها لمجرد أنني أشعر بالأسف والغربة
وهذا الشعور يرتادني مع كل مفتاحٍ تقريباً

خصوصاً مفاتيح المخزن السفلي التي احتفظ لها بنسخةٍ

إضافيّةٍ..

كيف سأفتح الحجارة؟

صدر

أحاول أن أصل إلى قناعةٍ
بأنَّ صدري سيظل مكانه إلى يوم غدٍ
هذا الصندوق الذي يكاد يطفح بالتناهدِ
ضاقت ذرائعهُ في تبديل ملاذاتهِ
على الأرجح سيهزمني حنينٌ عابرٌ
على الأرجح سأفشي للغريبة عن سرِّ دفينٍ
أقطع الشارع ذهاباً وإياباً
وأستني نصف مترٍ
كنا التقينا فيه ذات مرةٍ
إنها الفجوة التي أشعرُ بها
مع كل خطوةٍ
على الأرجح أُغيِّرُ ترتيبَ الغرفةِ
حيث ينبغي على الكراسي
أن تتحرَّك بعيداً عن النافذة

- لم يعد زمن النوافذ -

وعلى اللوحة أن تشرح نفسها للجدران
على الأرجح أضع إصبعي على مجسم الكرة الأرضية
على هذا المكان تحديداً
هنا بين خطوط الطول ودوائر العرض
حيث أشاهدني بوضوح!

سأشعر بي خفيفاً مثل غيمة في نشرة جوية
على الأرجح سأضعه على كرسي تاركاً قلبي معلقاً
في فراغ مجوف.. مثلما يحب سلفادور دالي
على الأرجح سأجلس بجواره تاركاً له حرية أن يعود في يوم ما..

معتقدات

أين أنت يا سبايدر مان؟

طفلٌ عالقٌ في الدورِ الرابعِ
بقيت قدمه اليمنى في سياج البَلْكونِ
بينما تدلَّى جسمه بالكاملٍ إلى الشارعِ
في البدء قال أحدهم: إنها كاميرا خفية
بينما عابرٌ مرَّ بالصدفةِ
ولأوّل مرّةٍ في حياته من شارع فيصل
قال إنه طفلٌ معنّفٌ
واحدٌ تخيل صوت إسعافٍ من بعيدٍ
-مجرد تخيّل-

لأنه كان يحلم منذ طفولته أن يلبس خوذة رجال الإطفاء
الطفل يتدلَّى كأنه لقطةٌ في السينما
خصوصاً عندما يتوقّفُ الأملُ على جودة صناعة الجوارب التي
يرتديها
وهي تتمرّق قليلاً في القدمِ العالقة!

الطفل يتدلى والناس تدخل من العمارة وتخرج
وبينما هم في مشاورات عن كيفية تحديد الشقة
وماذا لو كانت شقة عائلة والرجل غائب عن المنزل، وهل
سيمكن طرق الباب بدون مشاكل اجتماعية!
أو أنها شقة يستأجرها أجنب يعملون في الشركة المقابلة
الطفل يصرخ من أعماقه بوضوح:

.....

.....

أين أنت يا سبايدر مان!؟

الأصدق

شعورك الأول لمنظر جاموسٍ يحمل طائر بلشون في برنامج عالم الحيوان هو الأصدق دائماً، كيف بك لو عرفت أنه يحمله كيفما شاء، حين يتعب، وحين يريد أن يرى خطواته على الأرض من وجهة نظرٍ مختلفةٍ، هو الأصدق، خصوصاً عندما تدرك أنه قد مرَّ عليك ذات مرّةٍ وأنت تتزحلق على الدرازين، وأنت تتخيل نفسك على سطح القمر، وترى العالم صغيراً، صغيراً وواضحاً، كما يبدو في كتاب الجغرافيا، واضحة قرينك في الجنوب كأنها زخرفةٌ في فستانٍ، واضحةٌ كل المواجه في الأرجاء الفسيحة، واضحةٌ ككرة غولفٍ في عشبٍ، ها هي الحياة أمامك.. متعبة ومنهكة.. مد يدك وامض، خذها حيثما تريد..

نشيدُ التغيّراتِ

تغيّرتِ الأوجهُ، صارت دونما أسفٍ على الأقلِّ، تغيّرتِ الطريق، وفقدنا العلامة في المنعطف، عاد النزيهُ جديداً من فرط الجدران، وعادت ورقة التوت دون أن يحتاجها أحدٌ، الجغرافيا تنقُ من العتمة التي أرسلتها بغتةً إلى الوراء، تنقُ من قصص التاريخ ذات الوحلِ والحماقات، من صورة الموتى على الشاشات وفي الصحف، من ضمير الجمع الذي نهشته كتبٌ قديمةٌ، تغيّرتِ شكل الخسارة وكفُّ الحارسِ وأمطارُ القرى ومكنسُهُ الساحرة وقصائدُ سعدي يوسف وكتفُ جارنا وبرامجُ السهرة وصوتُ مذيعةٍ مونت كارلو وعربةُ اليونسيف، تغيّرتِ طلاقةُ السهم وحِدَّةُ الرامي وقلقُ الطريدةِ وبديهةُ الغريبِ وموتُ المؤلّف، تغيّرتِ مذاقُ الألم من أوّل نظرةٍ وضاعتِ العبارةُ والبلادُ.

مرّ سريعاً

التقيتُ بالشخص الذي اكتشفَ لأوّل مرةٍ أن الوقتَ الجميلَ
يمرُّ سريعاً..

التقيتهُ كثيراً..

لا يمزح أبداً..

وفي المراتِ النادرةِ التي فعل، كان ذلك بمحض الصدفة، أو
لأنني فهِمْتُ بالخطأ أنه يمزح.

لوهلةٍ ظننتُ أنني أعرفُهُ من سنواتٍ - السنوات القديمة في
الروح تلك التي يتحدث عنها الغرباءُ في بداية التعارف - ثم
لوهلةٍ تندهشُ لأنه جديدٌ جداً، جديدٌ ويشعركَ بأنك بالكادِ
جلستَ معه، ومع أنّه يحبُّ الأبراج والكلماتِ المتقاطعةَ في
وقتِ الفراغ، لكن لم يمكنني التنبؤ بأيّ شيءٍ قد يفعله بعد
قليلٍ، خصوصاً عندما يُميلُ كوفيّتهُ على جبهته مُشمرّاً ثوبه إلى
نصفٍ ساعده ويتحدث بلكنة المراهقين، أو عندما يجلس

بترقبٍ وقلقٍ أمام قناة بي بي سي، ويتذكر شيئاً عن حرب الخليج بدون سببٍ.

حين سأله عابراً: كم هي الساعة الآن؟ نظرَ إلى السماء للحظة، أغمضَ عيناً كأنه يصوّب ببنديقيّة في طائرٍ أو نوء! وسأله فجأة: كم عمرك؟ وكان يعني أن الوقت لا يزال مبكراً، مبكراً على كلّ شيءٍ قد يقوم به! لم يكن خفيفاً ومرناً بالقدر الذي يسمح بسؤالٍ خاصّ، ولا ثقيلاً كي لا تسأله عن ذوبان الوقت، يغادرُ فجأةً، وكأنما تذكر شيئاً مهماً، ثم يعود بعد أيّام، يعودُ من حيث انتهى الآخرون.

ترويضُ العادةِ

لكن البنت الوحيدة التي جرحت يدها
وهي تشاهد لقطةً مُعادةً من "جزيرة الكنز"
حين قال سيد تريلوني مبتسماً:
لماذا تُصِرُّ على إنهاءِ المقابلةِ يا قبطان؟!
لم تلتفت للحوارِ الساخنِ
حول رؤية "الهلال"
بل أخذت تلفُ العجينة في أشكالٍ هندسيّةٍ مختلفةٍ
ومع أنها كانت في حوارٍ ذاتيّ مؤلمٍ
بعد أن قطّعت يدها
ابتسمت للجميع
وتصفّحت أمامهم صوراً قديمةً
حيث يظهر الجدُّ والجدّةُ
بجانب أكلةٍ شعبيةٍ
فيما يظهرُ خلفهما ثلّةٌ من الأحفادِ

والهلالُ واضحٌ خلفهم
واضحٌ كأنه لعبة نارية في السماءِ
وهذا ما جعلَ الحنينَ لسنواتٍ مرَّتْ
يدبُّ في أنحاءِ خواطرهم
ويمنحُ نسمةً باردةً تمرُّ
تمرُّ بحفّةٍ حولهم
حتى الذين كانوا يُقسمون أنهم لم يرو "الهلال"
ويعدّدون احتمالاتٍ أن يكون هذا البياض بخاراً يتصاعد
من طبخ " السمبوسة "
أو أنه ضبابٌ طارئٌ
بدا وكأنهم ملائكة
وهو يحدّقون في الصورة
يعانقون السعادة التي يلمحونها الآن عبر زمنٍ قديمٍ.

الدُّمِيَّةُ الجَدِيدَةُ

مع أنها صناعةٌ جيِّدةٌ
من متاجر "والت ديزني"
وتبدو أكثر إتقاناً من بقية الدمى السابقة -
بحيث يمكن تحويلها إلى طبلَةٍ أحياناً،
طبلَةٍ تعمل دون الحاجة إلى العصي -
لم يستخدمها أطفال العائلة
ولا الأحفاد الذين جاءوا فيما بعد
بقيت على الرفِّ زمناً طويلاً
إلى جانب تحفة "توت عنخ أمون"
و"إله الخصب" ..

بعد عودتهم من إجازة المدرسة
اكتشفوا أن البيت قد سُرقَ
- كما فهموا في أول الأمر -

السجاد الأسوي، والطاولات، والأجهزة الكهربائية، والملاعق،
والسكاكين، وحلّة العصيدة المصنوعة في الجنوب، وكتاب
"كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في نفوسهم؟"
والشطرنج الخشبي، وآلة العود الذي كان متكسراً أصلاً،
والدمى - حتى تلك التي لم تعد صالحة -.
وحدها الدمية الجديدة..
تضحك أوتوماتيكياً
على الرف!

استلاب

يفصّلون ثيابك
ربطة عنقك، كوفيتك، " غترتك "
وطريقة حلاقة ذقنك
مشيتك.. حزنك.. وفنجان قهوتك
كل ما يمكن أن تطاله أيديهم
أنت أيها الطفل..
عليك أن تعود سالماً إليك حين تكبر
لا تصدّق صورتك القديمة
لا تصدّق ما علق برأسك
و" النقش في الحجر"..
إنها كذبةٌ جاهزةٌ
معدّةٌ لطابورٍ طويلٍ لا ينتهي
قم، وانفضّك جيداً
عد سالماً إليك...

عند حاجتك للأكسجين سوف تسقط الأقنعة تلقائياً

بسبب الغبار تأخر إقلاع الطائرة، بسبب الريح العاتية المسكونة بالضراوة والخاشعة تماماً، والأنواء التي قال عنها مذيغ النشرة شيئاً غامضاً ومضى: بأنّ برج الحمل لم يكن كما ينبغي هذه المرة، ولا المتبقي من الشهر كان كافياً كي لا يظهر "سعد الأخبية"، الطائرة التي تأخرت، ستقلع يوم غدٍ، بنفس الرقم وعدد المقاعد المحجوزة، وبطاقة إرشادات الوقاية، بيد أنه ليس شرطاً أساسياً أن يزول الغبار، ولا أن تصل الأحلام سعيدةً إلى أرض المطار!

ذاكرة الأغنية الهابطة

سمعاها بوضوح آنذاك
نفسُ السيَّارة التي مرَّتْ مسرعةً
بأغنيةٍ هابطةٍ
برغم أنهما أغلقا النوافذَ والأبوابَ
وقالا بالهمس: هيت لك
تمر اليوم بنفسِ السرعةِ والأغنيةِ
وحاسّةِ الكوابحِ الضريرةِ
ودون هذا الفقد الذي تركتهِ مضرجاً في الذاكرةِ

ملحق

تكهّنات

أتكهّن أن يُصبح العالمُ أوسع قليلاً
من زاويةٍ ضيّقةٍ في خطوطِ الطول
أن تنتهي علامةُ النصرِ من الأكفِّ
وتنحسرَ في تلويحةٍ غريقٍ
أن يبقى الملحُ محققاً في الأرجاءِ
وغير مجدٍ في اللحظاتِ المرّةِ
أن أوّمن تماماً بعبارةٍ "الصبر جميل"
بعد أن أشاهدها معلقةً في شاحنةٍ
تحمل البطيخَ من الحجازِ إلى الجنوبِ
أن أوّجلَ عملَ اليومِ إلى الغدِ
نكايَةً في الرتبةِ والمملِ
أن تطوفَ العزلةَ حولي كطائرٍ نادرٍ
ثم تجدّ عشها الآمن لفترةٍ طويلةٍ
أن تصدرَ مؤسسةً فنيّةً مرموقةً

أغنية: "أنا أكره إسرائيل"
بصوت محمد عبدالوهاب
فَيَعَمُّ لَغَطٌ وَجَدَلٌ عَلَى الْيُوتِيُوبِ
بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُلَحِّينَ
أَنْ يُصْبِحَ الظِّلُّ مَلُوناً
عَلَى الْهَوَاءِ مَبَاشِرَةً
حَيْثُ يَشْبِهُنَا تَمَاماً
أَنْ أُنْسَى بِشَكْلِ مَمْنَهْجٍ
صُورَ الْأَطْفَالِ الْقَتْلَى فِي الْحُرُوبِ
أَنْ أَعْتَزَلَ الْكِتَابَةَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّفْرِ
بَعْدَ أَنْ أَعَثَّرَ عَلَى كَنْزٍ فِي جَزِيرَةٍ
وَأَلْتَقَى مَصَادِفَةً ثَلَاثَةً مِنَ الْقَرَاصِنَةِ
يَشْرَبُونَ الشَّايَ وَيَلْعَنُونَ الْجِرَاحَ
أَنْ أَحْتَفَلَ مَعَ عَدَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ بِالْيُوتِيُوبِ الْفَضِّي
لَمُرُورِنَا فَوْقَ نَفْسِ الرَّمَالِ
أَنْ يَظَلَّ "الْجَسْرَ" جَسْراً
دُونَ أَنْ نَشْعَرَ لَوْهَلَةً بِأَثْقَالِنَا

أن تستيقظَ الأحلامُ في كهفٍ بعيدٍ
وتركضَ بحفَّةٍ نحو الناسِ
أن تضيعَ بعضُ الأحلامِ عن أصحابِها
فيصادفها أشخاصٌ عاطلون عن الحلمِ
يأخذونها خلسةً ويمضون في حياةٍ جديدةٍ
أن تبقى عبارة "العين لا تعلق على الحاجب"
جافةً بدون كناياتٍ
أن يصطدم شهابٌ مضيءٌ
في مجرَّةٍ خاصَّةٍ لبرجٍ يُتوقع أنه الحوتُ
فتمطر السماء - بعد أن تصبح بلون الجينز -
ذهباً وفضةً..
أن نتذكَّر الموتى حين تمرُّ ذكرى رحيلهم
وننشر صورهم بكلِّ مرونةٍ
وبابتسامةٍ عريضةٍ
على الانترنت..

قائمة للآمالِ تعملُ تلقائياً

لديّ أملٌ في كراسي الخشب.. أن تتحرّك مع الرياح
أملٌ في مربّع مزدحمٍ في رقعة الشطرنج
لأعرف من أين تؤكل الكتاف الفيلة!
أملٌ في نشرة الأخبار الأخيرة
قبل أن يعلن النشيد الوطني نهاية البثّ
أملٌ في تسوية أخيرة بين الحلم والحياة
أملٌ في استعادة أشجار الطفولة
كي أعرف أين اختبأ بالون العيد ولم يعد بعد
أملٌ في رواية "مزرعة الحيوان"
أن تترجم بلهجة محلية صرفة
أملٌ في كلمة "ارحل" ولو في أغنية عاطفية
أملٌ غير أكيدٍ في إمكانية إعادة العمر بدونِ فواصل الإعلانات
الحزينة
أملٌ في الحنين أن يأتي ناعماً مثل دموع الفرح

أملٌ في النوافذ أن تفتح إلى الداخل
حيث تطلُّ الحياة برأسها الكبير ولو لمرة واحدة
أملٌ واسعٌ في علامة النصر في الأكفّ الجريحة
أملٌ في أن تكون العزلة بيضاء من غير سوء
أملٌ في ركلات الترجيح أن تطبّق حرفياً بدلاً عن الحروب
أملٌ في الحب أن يتوزّع على القلب بالتساوي
أملٌ أن تنتهي هذه القصيدة بسلام
قبل أن أجد فراغاً في طابور طويل

نتيجة

بعد أن انتهى الصباح بالتعادل السلبي
بعد أخبارٍ سريعةٍ عن الجنوب والمطر
بعد دردشةٍ طويلةٍ عن الحب والحرب
ألفُ شباكي النظيفة
وأضعها كمخدّةٍ لاستعادة حلم البارحة
سأحلم بشيءٍ يليق بي
كأن أقوم بتأجير رأسي لطائرٍ كان يقف كلّ يومٍ على حافة
الشباكِ
وأرجوه ألا يعودَ

ثقة

أثقُ في لحاءِ شجرةٍ مهملةٍ أكثر من الغابةِ
في القصيدةِ المبعثرة أكثر من البيانات
في "دوستوفسكي" أكثر من يدي
في أعين الخرافِ الذبيحةِ
أكثر من الوجود
في المواقعِ المحجوبةِ
لأنَّ العينَ تعلو على الحاجبِ
في الحجارةِ لأنها حيَّة
في الحبِّ لأنه بلا أضدادٍ
في الجراحِ لأنها بلا تاريخٍ
في العدوِّ لأنه يعرفني جيداً
في العابرين لأن النيةَ في القلبِ
في الضياعِ لأنه بلا قرائنٍ

أبراج

أخافُ يا ماغي فرح، ألا يستدلَّ الغريبُ على المأوى،
ولا قوافل الحنين على غير العتمة، ولا القناديلُ المضاءةُ على
تشققات الألم، أخاف أن يتسكَّع القدرُ على مقربةٍ من
القصيدة، ويبيني المجهولُ كوخاً في كلِّ استشرافٍ، ويسألني عابراً
كيف حالك - بصدقٍ وحزمٍ؟ -
أخاف أن يتواطأ البرج مع اللغة، ويغرقان في صميم البحر، أن
تطارحني الصحراء رملها، فأفشل مجدداً في صياغة عبارةٍ عن
الأمل.

الميكانيكيُّ

لم يلتفت للكاميرا
علق البراغي مجدداً
وعلق برمنزٍ مليءٍ بالآلة
مواعيدَ زبائن سيأتون من الخراب
يقول كلامنا تماماً
لكن بيقينٍ وحزمٍ
حتى كلمة "بخير" و"كله ماشي"
كأنما تسمعها لأول مرةٍ
تخرج من مكانها الأصيل
حيث المعنى سابق العادةٍ
والعرق قبل اللغة
ومفتاح العجلات الساخن
قبل السياسةِ يا رفيقي..
علّق قَبَعَتِكَ وخذ قسطاً من نيمَةِ الحديدِ.

ثنائي القطبين

هذا الصباح..
أنا طاغور نظرت إلى الزنابق السوداء
وحلمتُ بقصة حبٍ
أنا المعريُّ.. فتحت نافذة الظنّ والحدسِ على مصراعيها
أنا بودلير.. مشيت في بقايا الأمطار وتبللتُ عنوةً
أنا عطيل.. بعد نهاية المسرحية أضحك من القدرِ
أنا دونكيشوت.. أبحث عن ريحٍ جديدةٍ تأخذني من السأمِ
أنا راسبوتين.. بين ذكرياتي وقضايا المستقبلِ
أجزُّ ذقني بهدوءٍ وبدون مرآةٍ
الرفُّ انتهى في المكتبة العامةِ
ولم أجدني بعد.

أن تفقد شيئاً وتنتبه متأخراً

1

لم يكن مستسلماً في أحلك الظروف وأصعبها، وأشدّها
امتحاناً ووطأة، لم يكن بوسعه أن يستسلم لو قرّر ذلك مثلاً،
كان ذلك يعني الموت أو الضياع في أحسن حالٍ، ولو كان الأمر
يعنيه وحده لترك النزال جانباً فيما يعتقد أنه هزيمة في نهاية
الأمر، لكن الحياة حمّلتُه عائلاً أو أسيراً لآخرين؛ لذا كان يبدو
كمراةٍ أحياناً، أو كوجهٍ مستعارٍ، أو نافذةٍ، ونادراً - حيث
الوقت الضئيل والشحيح - ما يجد وقتاً ليتخيّل نفسه وقد همد
تماماً، رافعا رايةً بيضاء أمام حياةٍ شرسةٍ، منذ عرفته لم يكن هذا
المحارب كذلك، لم يكن بكلّ هذه الخسارة التي تلمع في عينيه
كطفلٍ وديعٍ...

2

إلى أشرف..

كان يمكن أن تحذرهم، وأنت تعرف أنهم عشاق البغية وطعنة الظهر، حفاة الروح وسدنة الرمل، كان يمكن ألا تنعس بين أيديهم لئلا يأخذوك من تلايب رؤياك إلى هاوية التأويل، وكي لا تنالهم الغبطة في أذيتك، وكان عليك أن تُعيدهم باكراً إلى البيت تطبطب على رؤوسهم وأنت تعلمهم درساً عن السماء، تأخذهم على قدر العماء الداغر في دروبهم، على قدر قلتهم في البياض، وهزال أرواحهم، وعلى قدر كل واسع فيك وكل ضيق فيهم، كيف لم تنتبه للحجارة والرمل في أكفهم؟ وأنت تحفظ عن ظهر قلب مكان اللدغة، وذقت جهلهم شارعاً شارعاً، كنت تربي حدساً عاقاً فيهم، تربيه ولم تنتبه بأنهم يحملون شرخاً عميقاً لا يمكن سده تماماً إلا بك..

3

أكتبُ في الوقتِ الضائعِ
نكايَةً بالآمالِ المُهدرةِ..
أكتب بعد نشرة الأخبارِ مباشرةً
كي تغفل العبارةُ عن البلاغةِ..
أكتب وفي فمي ماءً
وأراه جيّداً بين السطورِ..
أكتبُ.. أتحاشى أثراً واضحاً لضربة الشمسِ على طريقي..
أكتبُ منتبهاً للترابِ الأوّلِ..
للحاسةِ السادسةِ وهي تتخلّقُ كحُضنٍ..
للذاكرةِ وهي تُصرُّ على المشيِ أمامي..
للنشيدِ الوطنيِّ في حلقي الصغيرِ..
لموتِ المؤلّفِ وموتِ القصيدةِ والقارئِ..
في حضرةِ أطفالِ الحروبِ...
لشجرةِ التوتِ كنايةً الأولى في "بلجرشي" القديمة.
للقرعةِ وهي تختارني جناحاً أو مدافعاً عن الخساراتِ..

للفتاة التي تركت خصلةً من شعرها للذكرى..
لصوت الاحتجاج في مذياع بعيد..
أكتب.. وأنا مُحرَّجٌ جداً..
من غلبة الأحرار على اللغة..
من توزيع البياض على الجراح بالتساوي..

4

قديمًا كنتُ مشروعًا لأنَّ أتحوَّلَ إلى كَأْسٍ أو عَشٍّ أو غيمَةٍ..
والآن كل ما أملك هي خبرتي المتواضعة في استبعاد الحجارة من
النَّصِّ، ومحاولات عديدة لأن أفرغ حقيقتي في جملة، وأن
أستنطق القلب في عبارةٍ حاملةٍ لا أوقعها باسمي، ثم على مهلٍ
بعد سنواتٍ طويلةٍ ألتقيها حيَّةً على الهواء مباشرةً، حيَّةً في
رسالة حبٍّ أو لوحةٍ من الفنِّ الحديث، حيَّةً وتتنفس جيداً -
أكثر ممِّي - حيَّةً في صوت امرأةٍ تصعد سلماً بعيداً، في رائحةٍ
البخورِ في البيتِ القديم، وفي علامة النصرِ في يد طفلٍ، في
الترابِ الأول وفي الخساراتِ، فيما كنتُ أظنه النَّصُّ لا أكثر
وهو الطريق برمته..

قصائد تالفة

- قصيدةٌ عن الموتِ مرَّتها مقابل أن أمشي تحت الأمطار..
- قصيدةٌ عن الوطنِ أهديتها لقارئة الكف..
- قصيدةٌ عن وجهي سرقها من المرأة...
- قصيدةٌ عن الحبِّ كان من الأجل أن تتحوَّل إلى حُضنٍ..
- قصيدةٌ عن الحربِ فقدتها في أعينِ الأطفالِ القتلى..
- قصيدةٌ عن الحرِّية كتبت نفسها على الأغلال..
- قصيدةٌ القدرِ جعلكته في الجيبِ..
- قصيدةٌ عن غيفارا قالت: نعم أكثر مما يجب..
- قصيدةٌ عن الجنوبِ تحولت إلى شجرة..
- قصيدةٌ قصيرةٌ كتبتها عن الغيومِ العالية..
- قصيدةٌ ارتطمت بقوةٍ في سقفها الضيق..

هوامش

أسئلة

أعترفُ لهذا المطر بكل شيءٍ
أعترفُ
وأعود مبلاً دون أخطاءٍ.

صديقٌ جيدٌ لك أيها الفرخ الصغير..
صديقٌ جيدٌ وأعرف أنه بوسعك أن تكبر قليلاً
تاركاً هذه السلوكيات الصبانية للحزن !

مرت حياته مثل سوء فهم متبادلٍ
في المرة الأولى التي قال فيها : لا..
كانت اللاء الخاطئة!

ثمة خطوة لم تكتمل..
معلقةً في حذائك...
خذ بيديها إلى أقرب باب.

الحنينُ واضحٌ من صريرِ الباب..
من طريقة بدءِ الشتاءِ بدونِ مقدّماتٍ،
ومما نسيناهُ في جيبٍ معطفٍ قديمٍ،
من ورقةٍ مهملةٍ في التقويمِ اليوميِّ،
ومما تظنُّه الذاكرة..
واضحٌ، وليس عليك أن تقوم بشيءٍ حيال ذلك.

في مكانٍ ما
شخصٌ له نفس أحلامك
لم ينم هو الآخر
يحاول جاهداً أن ينهي هذا الأرق
غير أنه لا يكفُّ عن الأغنية التي جمعتكما معاً...

خذ ضحكتك على محمل الجدّ
خذها كاملةً وعميقةً..
وضاربةً بجذورها فيك..
خذها قبل أن يرجع الألم من نزهته اليومية خارج روحك!

حجمُ الخيَّاتِ يقاسُ بتغيُّرِ ملامحك أمامَ مرآةِ الصَّباحِ..
بكوبِ القهوةِ الذي يبردُ في انتظارِك...
بكمِ مرَّةٍ مشيتِ وأنتَ تربطُ أصابعك خلفَ ظهركِ وتغني..

تحاولُ أن تحافظَ على علاقتك بأغنيةٍ قديمةٍ
بذاكرتها وامتدادها في روحك
وتخاف..
تخافُ جداً
أن ترححها الأيامُ العابرةُ.

هناك أغنيةٌ عابرةٌ، تمرُّ بهدوءٍ، وبلا ذاكرةٍ،
وبلا أيِّ امتدادٍ في روحك..
تنتظرُ شخصاً ما ليصنعَ منها مكاناً فيك..

ضحكة قديمة ومنسية
لا زالت تتذكرك
تنظر إليك بحنينٍ وأسفٍ
وأنت منهمك في عدِّ الأحزانِ على أصابع يديك

عن الذي لا يعرفوننا تماماً
الذين بقينا في قلوبهم طويلاً
كأننا حالة حبّ
بقينا أنقياء ومصقولين
وجدداً طوال الوقت.

وجدناك عمداً في قصصنا القصيرة..
ومصادفة في الطريق
في كل تلويحة..
وفي قصائد كتبناها عن الفرح..
أيها الحزن!

أنت تنتظر الشخصَ القادرَ
على أن يهزك - مثل من يهز شيئاً قديماً ليتأكد من صلاحيته
-

ويخبرك بصراحةٍ عن الخطوة التالية نَحوك!

بعض الرسائل لابدَّ أن تحتفظَ بها طويلاً..
تروض بها الأيام الصعبة..

لا أحد يكتشفهم في بادئ الأمر،
لابدَّ أن تكشطهم أولاً

نهاية الفيلم كانت تشبههم تماماً..
مفتوحة على كل الاحتمالات..
في طريقٍ طويلٍ...

يمسح نظارته جيداً
ليرى الضباب بوضوح..

في حلمٍ عميقٍ
رأيت جينيفر لوبيز
تبصق الموناليزا
قلت: جاء زمنٌ جديدٌ.

سأعقد صفقةً سرّيةً مع الأحلام
أن تدخل من النافذة
مع الأمطار، أن تحترق بعود ثقاب
مع الحياة المتشابهة، أن تميزني بخدش فارق!

أريد أن أعودَ إلى هناك..
إلى البال الأبيض كأنه الحقيقة كاملة..
إلى كتابِ الأناشيدِ الأول حيث اللغة سريالية على كل الجهات
إلى أول مرة اكتشفت فيها الفرق
بين الأفلام والحياة!

في الأيام الأخيرة
يكشفون شيئاً جديداً في قصتهم
بعد فوات السنوات
شيئاً على طريقة أجاثا كريستي
عندما نخدعنا بالأوصاف الطيبة
الأوصاف المركزة على النقاء والبياض
لأولئك العابرين

الذين صادفناهم مرةً واحدةً في العمر
مرةً واحدةً لكنها المرة التي كانت كفيلة بموتنا
موتنا الذي نكتشفه للتوّ

الوهم: صنعوه بأيديهم، التهموه عندما جاعوا...

رمىنا العمر المهدر كاملاً إلى عينِ الشمسِ ..
لتنبت لنا الأعوام المصقولة بلا ندوبٍ ..
العمر الذي لم ينبت من جديدٍ حتى اليوم

كتابة

قصيدة تطاردني منذ أيام
على الأرجح
أنها مسألة تأرٍ.

بيننا قصيدة نرجوها كل يوم ألا تكتمل..

طارتِ الفكرةُ إلى عَشِها الآمن..
نَجَتْ من فَحِّ الكتابةِ المريرِ!

أنصت إليهم أولئك الذين يصرخون في أعماق قصائدك
يطالبون بالنجاة..

تلتقي مصادفة بعبارتك القديمة..
كبرت .. كبرت
ولم تعد تشبهك الآن!

وجدناك عمداً في قصصنا القصيرة..
ومصادفةً في الطريق
في كل تلويحة..
وفي قصائد كتبناها عن الفرح..
أيها الحزن!

في آخر الليل ...
أمشي على أطراف قصائدي ...
كي لا أزعج الحكايات النائمة ..
كي لا ينتبه النسيان ...
لموته القريب ..

أنتِ

قطعة تراهن الحياة على مكانٍ واحدٍ لا يخلو منك..
قطعة، وطالما عملت كمعطفٍ وكسرٍ بين غريبين..
هذا القلب!

كم حاسة جديدة
تولد في انتظارك؟!

اقترح نجمةً لتكون قرطاً
اقترح مطراً ليكون خلفيَّ للشارع
اقترح متجراً صغيراً لأشتري سرّاً
وأتركه خلف ظهري
..واقترح عليّ أن أمرّ بالقرب.

لا أريد العودة منكِ سالماً
أريد أن يستمر هذا السفرُ طويلاً
ومضرجاً بك..

يتكىء رأسكِ على الكتف،
الكتف على جذع شجرة،
الشجرة تنمو الآن أكثر
تتساقط الثمار بين يدي،
وأكتشف شيئاً جديداً في "الجاذبية".

مثلثُ المشهد مراراً وبشكلٍ آخر أقلُّ ألمًا، ونجحت..
ونجح المخرج والكومبارس...
وغبت!

تأخذيني إلى الحكاياتِ المخبأةِ
في خطوطِ كَفِّكَ
أعرفها تماماً
هذه الطرقات طالما سلكتها
حُلماً.. حُلماً.

شاشةُ الرحلاتِ المغادرةِ
تعطلت فجأة!
لم تكن السماءُ قادرةً على كلِّ هذا الغياب..

شخصٌ ما يتنصَّتُ على قلبي ويمسكه
وأنا أفتش عنه
منذ مرحلة النطفة.

اليوم قطفنا خلاصة الحياة
تذوّقتها برأس لساني
كانت الأرض قد رضيت عني
وكان النملُ يدبُّ.. يدبُّ!

يمتدُّ الظلُّ أكثر وهو يفكّر بعابرين .. ينحтан آمالهما على
 جذع الشجرة.. يكون خفيفاً ومنحازاً للقلوب الطائرة التي
 يرسمها الناس بأناملهم.. سيمضي وقتاً وهو يلاطف الآخرين..
 غير مكترثٍ لهذه الشمس اللامعة على النواصي.. الشمس التي
 ستصعُغُ الآمال بلونها.. سيمتدُّ الظلُّ حتى أفاصي الليل..
 متناسياً أن عليه أن يعود إلى البيت لينام باكراً.

كشاهدةٍ على العالم
 ترقصُ كل صباحٍ
 نكايَةً في كل ألمٍ تلمحه..
 مرّة رقصت طويلاً.
 وكلما همّت بالراحة
 نكأ العالم جرحاً من الكتب القديمة.

حرية

طائرٌ في قفصٍ...
يسمع من بعيدٍ...
أصوات الطيورِ القتيلة.

عندما سقطت تفاحةٌ من شجرة بيتهم
بقيت ساجدةً في الفضاءات
أولئك الذين حقنوا أوردة الأغصان بالهواء.

من جيلٍ لآخر تكبر الحكايةُ القديمةُ
تكبر وتنتقل إلى الأحفاد..
تكبر.. تكبر
ويصير صعباً

خروجها من باب البيت.

أحلامنا الصغيرة تلك..

كبرت الآن

لم يعد بوسعنا

أن نطبطب على كتفها الواسع.

بقي الهواء مستعداً وصامتاً خلف باهم..

لو أن يداً جربت.. محض تجربة

أن تلوح ولو من بعيد..

لأنهم يثرثر في كل اختناقاتهم..

نفس الشمعة.. لكنها أضاءت أكثر في مسيرة احتجاج..

في حذائي الذي ارتديته صبيلاً
صنعت عصفورةً عشها الفسيح.

ها قد كبرت الجراحُ
توقفت عن التأثّة!

١ يناير .. ذاكرة العزلة والرتابة

هذه أول كلمة في السنة الجديدة، أول كوب قهوة يقرأني
بهدوء.. أول باب يُغلق نفسه جرّاء الهواء
ويغني: هيت لك...

أول نسمة تحرك غصن الريحان في البلكونة..
أول (لا) تكتب نفسها في سيرتي الذاتية الجديدة..
أول تسجيل دخول مع زيادة الأسعار..
أول أغنية سمعتها من راديو بعيد.. مشوّشة وصاخبة..
أول مرة أشاهد وجهي في المرأة وقد كبر عاماً آخر..
أول كذبة أبتكرها لأطعن الأحران من الخلف..
أول هاتف من الجنوب يراوغ المسافات بالحنين..
أول امرأة لها صوت رذاذ المطر..
أول خبر على التلفزيون عن ضحايا جدّد على الهواء مباشرة..
أول نصّ نكاية في الأشياء الأولى..

الفهرس

- 7 تغييرُ نعمةِ المنّةِ
- 9 غرفةٌ
- 11..... ثوبٌ
- 14..... حجارةٌ
- 17..... حجارةٌ
- 19..... صدرٌ
- 23..... أين أنت يا سبايدر مان؟
- 25..... الأصدقُ
- 26..... نشيدُ التغيُّراتِ
- 27..... مرّاً سريعاً
- 29..... ترويضُ العادةِ
- 31..... الدُّميةُ الجديدةُ
- 33..... استلابٌ
- 34..... عند حاجتك للأكسجين سوف تسقطُ الأقنعةُ تلقائياً
- 35..... ذاكرةُ الأغنيةِ الهابطةِ
- 39..... تكهُناتٌ
- 42..... قائمةٌ للأمالِ تعملُ تلقائياً
- 44..... نتيجةٌ
- 45..... ثقةٌ
- 46..... أبراجٌ
- 47..... الميكانيكيُّ
- 48..... ثنائي القطبين
- 56..... قصائدُ تالفةٌ
- 59..... أسئلةٌ

69.....	كتابة
72.....	أنتِ
77.....	حرية
80.....	١ يناير .. ذاكرة العزلة والرتابة